

يقول الحكمة من بناء ومن يوت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المساجد

١٣١٥

فتشر عبادي الذين يسمعون القول
فيستمعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوي و«مناراً» كنار الطريق)

(محرر في يوم الخميس نغرة رمضان سنة ١٣١٩ - ١٢ ديسمبر (ك) سنة ١٩٠١)

باب المقالات

﴿ فلسفة وعرفان . في الصيام والايان ﴾

الصوم والناس . العبادة . معرفة الله . البحث . جاهلية المدنية الاوربية . التكوين
حسب العلم العصري الموافق للقرآن . الحياة والبقاء . الارواح . الحاجة الى الدين .
الاسلام والمدنية . شكوى المسلمين . دعوة المرتابين الى الحق

أقبل شهر الصيام فرحب به المؤمنون ، وتبرأ منه المنافقون ، واستهان
به الزنادقة المارقون ، فالؤمن في صيام وصلاته ، وصلة وزكاه ، وبر
ومواساه ، وعكوف على كتاب الله ، والمنافق في كذب ومداجاه ،
واسرار يخالف ما أظهره وأبداه ، يستخفي بأفطاره من الناس ولا يستخفي
من الله ، كأنه لا يعلم انه يبصره حيث كان ويراه ، والمارق المرتد يجاهر
بالافطار ، وتمتد له الموائد في نصف النهار ، فيأكل الطعام ويشرب العقار ،
ويفجر مع امثاله من الفجار ، ضلال مع اصرار ، لا ندم يعقبه ولا استغفار ،
اولئك هم الفاسقون ، « كلا سوف يعلمون ثم كلا سوف يعلمون »

« قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْثَرَهُ ، من أي شيء خلقه ؛ من نطفة خلقه فقدّره ، ثم السبيل يسهّره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء أنشره ، كلاً لما يقض ما أمره ، » أمره بالصلاة فكسل ، وأمره بالزكاة فبخل ، وأمره بالصوم فشرب واكل ، ولو عرف الله ، لآثر طاعته على شهوته وهواه ، ولو عرف نفسه لعرف ربه ، وابتغى رضوانه وقربه ، وارتنى بذلك عن اللذة الحسية البهيمية ، الى اللذة الروحية الانسانية ، فصلى طلباً لرضائه ، وتلذذاً بمناجاته ، وصام ابتغاء وجه ربه الأعلى ، الذي يعلم الجهر وأخفى ، « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون »

نعم لكل موجود ممكن وجهان - وجهٌ الى عالم الكون والفساد الذي تفنى عن قريب صورته ، ويمحى أثره ، ووجهٌ الى الوجود الحق الذي استفاد وجوده من وجوده ، واستمد ما به بقاؤه من كرمه وجوده ، اذ هو « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » ، « يحسب الإنسان أن يترك سدى ، ألم يك نطفة من منى يمى ، ثم كان علقة مخلوق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؛ بلى . ان الكيماوي يحلل بعض الاجسام المركبة ويرجعها الى عناصرها البسيطة فتراها قد فئيت وتلاشت ثم يعيدها بالتركيب الى شكلها الأول فتراها خلقاً جديداً - هذا والكيماوي رجل مثلك يشكو الجهل والضعف « وما اوتيتم من العلم الا قليلاً » أفرايت الحي الذي استمد الحياة منه كل الاحياء ، القيوم الذي قامت بقدرته الأرض والسماء ، يمجز عن فعل ذلك بك وهو القمّل لما يريد « أفصينا بالخلق الأول بل هم في أبس من خلق جديد »

هؤلاء الزنادقة المرتابون في النشأة الأخرى الذين تركوا الصوم والصلاة وآبوا الشهوات يتوكلون في هذا العصر على العلم الطبيعي في ارتياحهم أو جحودهم وهم أعرج في الجهل به من أمثالهم في زمن الجاهلية الأولى فان علمهم الطبيعي ينطق بأن العدم المحض محال ، وان الاعدام والايجاد ابطال صور وأشكال وتجديد صور وأشكال ، وان هذه الكواكب السماوية وهذه الأرض كانت كلها مادة واحدة منتشرة كالدخان والهباء ثم انفتحت رتقها فكانت أجراماً كروية متعددة ثم نشأ في هذه الأرض وهي احداها ما نراه فيها من الموائم الحية وغير الحية . وكان كل ذلك الابداع والاحكام ، بترتيب كامل ونظام ، يدل على انه صادر عن علم وحكمة ، وارادة وقدرة ، « أولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناها وجعلنا من الماء كل شئ حي أفلا يؤمنون »

عرفوا قليلا من ظواهر اشكال هذه المخلوقات وقواها وخواصها وعرفوا أن اعلاها واكملها المخلوقات الحية وان اكل الاحياء منها الانسان أفلا يدلهم هذا على ان الحياة التي بها قوام اكل المخلوقات ، هي اكل الموجودات ، وعلى ان كمالها في مراتب الوجود بالنشوء والارتقاء يدل على رسوخها فيه ؟ واذا عرفوا هذا وضموه الى علمهم بان اجزاء المادة التي لا حياة لها لا تقبل عدم المحض وانما تتحل منها صورة فتدخل اجزاؤها في تكوين صورة اخرى من المخلوقات الحية - الا ينتج لهم مجموع هذه المعارف ان الحياة التي تلبس المادة الميتة فتجعلها خلقاً جديداً نحو ويرثي أجدر بالبقاء ، وأولى بالارتقاء ، لا سيما هذا الانسان ، الذي هو اكمل ما في هذه الاكوان ، بلى « والتين والزيتون ، وطور سينين ، لقد خلقنا

الإنسان في احسن تقويم . ثم رَدَدناه أسفل سافلين . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون ، فما يكذبك بعد بالدين ، أليس الله باحكم الحاكمين »

حياة الاحياء معلومة بالضرورة لا تحتاج الى دليل . وان ما به الحياة مجهول في كنهه وحقيقته معلوم بأثره . وان اكل مراتب الحياة واعلى درجاتها هو ما كان من اثره العلم والحكمة والارادة وهو ما يسمى باللفة العربية روحاً . وان أفراد الأرواح متفاوتة في الارتقاء كما ان أنواع جنسها (وهو ما به الحياة) متفاوتة كما قلنا آنفاً . وان اعلى الأرواح رتبة واكلها هو ما كانت علومه ومعارفه اعلى واكمل . وان اكل المعارف والعلوم هو ما كان موضوعه اعلى واكمل ، واثره انفع وافضل ، وان ذلك هو معرفة الله تعالى الذي منه مبدأ كل هذه الوجودات واليه مرجعها اذ هو الحي القيوم بنفسه الذي حيي وقام به غيره لان قيام الاشياء وثبوتها وحياة الحي منها لم يكن بالمصادفة والاتفاق ولا يصح أن يكون علة لنفسه لثلا يكون سابقاً عليها ولا ان يكون سببه عدمياً لان العدم لا يتصور فكيف يُخلق ويُصور ؟ وبلى معرفة الله تعالى معرفة سننه في خلقه وشرائعه التي يصلح بها امر عباده في ارواحهم واجسادهم وهي ما يسمى العمل بها عملاً صالحاً . وانما صلاحه بكونه انفع للناس وافضل كما ثبت بالنظر والتجربة . ولهذا جعل تعالى الفلاح وهو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة مقروناً بالايان وهو معرفة الله تعالى وبالعمل الصالح الذي به تصلح النفوس والشؤون ، « قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » الآيات

اذا تسنى للإنسان ان يعرف بطول الزمان وتقلب الحدثن ما به

تصاح شؤنه الدنيوية في افراده ومجموعه من غير ان يسترشد بالوحي الذي هو تعليم الهي يفيض من عين الكرم والفضل على بعض الارواح العالوية التي يُسدها الله لذلك فهل له من سبيل الى معرفة ما يصلح به الروح ليرتقى بذلك الى حياة أعلى من هذه الحياة؛ فانه يعتقد بان المذم محال وان الارتقاء سنة من سنن الوجود . ثم ان كل فرد من افراده يوقن مع ذلك بأن وجوده الحاضر سيذطل ويفنى أفلاً يتعين عليه إذن ان يؤمن بنشأة اخرى وحياة ثانية كما اخبر النبيون والمرسلون « أُنحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا تُرجعون »

الحق اقول : ان الانسان كان قريباً من العجاوات وانه لم يصعد في مراقبي الوجود بهذا التدرج البطيء الا بهداية افراد خصهم البارئ الحكيم بالالهام الصحيح واوحى اليهم روحاً من امره اقدرهم به على هداية الناس في كل طور بقدر استعدادهم . وان هؤلاء الاوربيين الذين يتوهمون هم ومقلدوهم الخدوعون بمدنييتهم انهم وصلوا الى ما وصلوا اليه من معرفة المصالح والمنافع في شؤون الحياة الدنيا بأنفسهم من غير استرشاد بشيء من الوحي قد كذبوا في وهمهم وصلوا في حساباتهم فانهم ما وصلوا الى ذلك الا بعد ما اقتبسوا من الدين اصوله ومبادئه وكثيراً من فروعه ومقاصده واعتبروا بتاريخ الانسان ايام لا هادي له الا الدين وقد صرح بعض فلاسفتهم بأنهم اخذوا استقلال الفكر واستقلال الارادة من الاسلام وهما اصل كل تقدم ونجاح . وكذلك الاعتبار بسنن الكون ونواميس الطبيعة والاعتماد على ثباتها وعدم تغييرها ولا تحويلها فهو مأخوذ من القرآن وان لم يهتد به كما يجب اهل القرآن . وقل مثل ذلك في الحكومة

الشوروية وجعل الحكومة بمعرفة الامة وتحت سلطتها فهذا اصل ارتقايمهم السياسي كما ان ما قبله اصل ارتقايمهم العلمي وهو مأخوذ من الاسلام وان لم يعمل به المسلمون حتى صاروا حجة على دينهم وعلى كل دين كما تقدم بيانه في المنار صراراً

اذا كان كل خير أصابه الانسان في دنياه متصلاً نسبه بهداية الدين فهل يستغني هذا الخلق الضميف عن ارشاد الدين فيما يتعلق بحياته الاخرى أليس له في هذه الحياة حواس ومشاعر يستعين بها في شؤونها وليس له مثل ذلك في اعداد نفسه وتأهيلها لتلك؟ فتبصر يا من اغواه التفرنج في امرك واعلم انه قد دلائك بغيرور ، وقذفك في تيهور ، واستعبدك للشهوات ، وهبط بك الى دركة الحيوانات ، ففسد بأسك ، وضاع وطنك وجنسك ، فخرت الدنيا والدين ، وذلك هو الحسران المبين ،

أنت تشكو من سوء الحال ، وضياح الاستقلال ، واختلال الاعمال ، وتتمس لذلك الاسباب ، وتطرق للخروج منه كل باب ، ولكن الانقياس في الشهوات جعل على عينيك غشاوة وفي سمعك وقراً فانت الآن لا تسمع ولا ترى فان استطعت ان تكسر من سورة هذه الشهوات وتقل من حدتها وتنقلت من عقليها وتنطلق من قيودها فتكون انساناً مستقلاً فحينئذ يسهل عليك ان تعرف كيف ذلت امتك بعد عزها وضاعت بلادها بعد منعتها ويسهل عليك السمي في تلافى ذلك . ولا سبيل لك الى الخلاص من ذلك الرق والاستعباد الا بالدين فارجع اليه وأقم اركانه ، وشيد بنيانه ، وها أنت ذا في الشهر الذي شرعه الدين لتأديب الشهوات ، والتغلب على العادات ، وجعل النفس الأمارة بالسوء خادمة مأمورة ،

وملكة الرذائل والشرور أمة خاضعة مقهورة ،

شرعت في الكتابة قاصداً بيان فضل الصائمين ، والنهي على المنظرين من المسلمين الجغرافيين ، ثم بدالي ان المسلم لا يفطر في رمضان عامداً متعمداً الا اذا كان صرتاباً في اصل الدين غير مؤمن باليوم الآخر ولهذا أطلت فيه المقال بالنسبة الى هذا المقام فن كان مؤمناً بالله واليوم الآخر مسلماً بالدين عالماً ان فيه الفلاح والسعادة ، واسترجاع ما فقدنا من السلطان والسيادة ، فليؤدب بالصوم نفسه ويكتسب به ملكة الحكم عليها فبذلك يحفظها في الدنيا من أكثر الامراض لانها انما تنشأ من الافراط في الشهوات ويتبع هذا حفظ العرض والمال والاستعانة على تربية الاولاد . ويحفظها في الآخرة بما يغطي الصوم من النور الروحاني بمراقبة الله تعالى ووجهه ، والرغبة في رضوانه وقربه ، وبما في الصوم من تهذيب النفس وتزكيته واعدادها بهذا الترقى المعنوي لتبني ذلك العالم الاخروي وقد بينا منافع الصوم الروحية والجسدية في مقالتي نشرتا في المجلد الثاني من المنار تحت عنوان (الصيام والتمتد) فليراجعهما من شاء (ص ٦٧٣ و٦٩٥)

ومن كان في شك من دينه فعليه ان يطيل البحث والسؤال ، من غير سراء ولا جدال ، ولا يفرنه ترك ائمة الاوربيين للدين فان الدين الذي تركوه ليس دين زمنهم ولم يكونوا يعرفوه على وجهه الذي كان عليه المسيح عليه السلام لأن دين المسيح هو دين اليهود ما نسخ على لسانه الاقليل من احكامه وزاد فيه بعض حكم ونصائح فكان ممهداً بذلك للدين العام الذي كان أهم وظائفه البشارة به والذي قال عن صاحبه أنه روح الحق الذي بين للناس كل شيء . ولا يفرنه أيضاً سوء حال المسلمين المخدولين الفاسدي

الاخلاق فانه ليس لهؤلاء من الاسلام الا الاسم ، ولا حظ لهم من كتابه
 الا التبرك بالتلاوة والرسم ، فهم بعدم القيام بحقوق القرآن كالذين قال الله
 تعالى فيهم « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل
 أسفارا بئس القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين »
 والمنار قد بين بعدم عن الاسلام في جميع أجزائه فقم عليه بمضمهم أنه
 يعيب المسلمين وعذره في ذلك أنه يعظم الاسلام ويمدحه ويبين حقيقته
 وهذا يتوقف على الأزراء بمن أهانوه بانتسابهم اليه حتى نفرّوا الناس منه
 في الأيمان سعادة الآخرة وسعادة الدنيا فيا أيها الشاكون ويا أيها
 الجاحدون تعالوا أئبن لكم الحق واكشف لكم الشبهات عن وجهه لا تهلكوا
 وتهلكوا امتكم بالأسوة السيئة . اتقوا الله في انفسكم وفيمن يجرؤنهم على
 هدم اركان الاسلام وانتهاك حرمانه وخذوا بالاحتياط ان كنتم تعقلون

﴿ السياسة والساسة ﴾

ما السياسة ومن الساسة ؟ - السياسة من جملة علوم أستاذها
 الفلك الدائر الذي حضر في حلقة الأ ولون والآخرون . واستفاد من
 نظامه العلماء واجاهلون . فان ارتباط المسيات بالأسباب ما عرف باديء
 بدء الا بتعريف هذا الاستاذ الاعظم . وليست السياسة الا البحث عن
 احوال العالم المجتمع وأسباب تغييرها . واتخاذ كل طائفة أسباب السوء على
 غيرها بحسب اعتبارها . وما الساسة الا علماء هذه الأسباب وخطباء
 هذه المبادئ

قلت الفلك الدائر . ولعلي اغربت وابتعدت . ولكن ليس كل إغراب